240423 ـ هل صحت قراءة : (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) بالجرّ عن أحد من السلف ؟

السؤال

هل صحيح أن الحسن بن علي رضي الله عنهما قرأ قوله تعالى: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) بجر كلمة "رسوله" ؟ فقد احتج أحدهم بهذه الرواية للزعم بأن الإعراب لا فائدة منه ، فكلمة "رسوله" قرئت بالرفع والنصب والجر، وإذا كانت رواية قراءة الحسن رضي الله عنه صحيحة ، فهل يصح أن يقال: إن كلمة "رسوله" جُرت بالمجاورة كما زعم بعضهم ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

قال الله تعالى :
(وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) التوبة/ 3
والمعنى : أن الله برئ من المشركين ، ورسوله برئ منهم .
وقد قرأ جماهير القراء هذه الكلمة : (ورسولُه) بالضم ، على الابتداء ، وخبره محذوف ، والتقدير: "وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ".
وقرئ (ورسولَه) بالنصب، عطفا على لفظ الجلالة المنصوب بـ (أنّ) .
وقرئ ـ شاذا ـ (ورسولِه) بالخفض ؛ على إرادة القسم ، أو المجاورة .
وهذه قراءة شاذة ، رويت عن الحسن البصري ـ وليس الحسن بن علي ـ ولا تصح عنه ،

ولا تجوز هذه القراءة عند العلماء ؛ لأنها توهم أن الله بريء من المشركين ، ومن رسوله ، وهذا باطل محال، واعتقاده كفر.
وفي القول بالخفض هنا على الجوار ، أو القسم : تكلف واضح ، لا حاجة إليه ما دامت القراءة لم تثبت .
قال أبو حيان رحمه الله في "البحر المحيط" (5/ 367):
" قَرَأَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، وَعِيسَى بْنُ عُمَرَ، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ: (وَرَسُولَهُ) بِالنَّصْبِ، عَطْفًا عَلَى لَفْظِ اسْمِ أَنَّ. وَأَجَازَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ مَعَهُ .
وقرىء بِالْجَرِّ شَاذًّا، وَرُوِيَتْ عَنِ الْحَسَنِ . وَخُرِّجَتْ عَلَى الْعَطْفِ عَلَى الْجِوَارِ ، كَمَا أَنَّهُمْ نَعَتُوا وَأَكَّدُوا عَلَى الْجِوَارِ. وَقِيلَ: هِيَ وَاوُ الْقَسَمِ.

وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالرَّفْعِ فَعَلَى الِابْتِدَاءِ، وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ أَيْ: "وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنْهُمْ"، وَحُذِفَ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ " انتهى .

وقال ابن عاشور رحمه الله:

" وَعُطِفَ (وَرَسُولُهُ) بِالرَّفْعِ ، عِنْدَ الْقُرَّاءِ كُلِّهِمْ: لِأَنَّهُ مِنْ عَطْفِ الْجُمْلَةِ، لِأَنَّ السَّامِعَ يَعْلَمُ مِنَ الرَّفْعِ أَنَّ تَقْدِيرَهُ: "وَرَسُولُهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"، فَفِي هَذَا الرَّفْعِ مَعْنًى بَلِيغٌ مِنَ الْإِيضَاحِ لِلْمَعْنَى ، مَعَ الْإِيجَازِ فِي اللَّفْظِ، وَهَذِهِ نُكْتَةٌ قُرْآنِيَّةٌ بَلِيغَةٌ.

وَمِمَّا يَجِبُ التَّنْبِيهُ لَهُ: مَا فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ أَنَّهُ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ قِرَاءَةُ (وَرَسُولِهِ)ـ بالجرّ ـ وَلم يصحّ نِسْبَتُهَا إِلَى الْحَسَنِ .

وَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ جَرُّ (وَرَسُولِهِ) ، وَلَا عَامل يقتضي جَرَّهُ ؟!" انتهى من " التحرير والتنوير"(10/ 109) .

وقال الشوكاني رحمه الله :

" قَوْلُهُ: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) ....

وَقُرِئَ (وَرَسُولِهِ) بِالْجَرِّ عَلَى أَنَّ الْوَاوَ لِلْقَسَمِ ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ الْحَسَنِ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ ضَعِيفَةٌ جِدًّا، إِذْ لَا مَعْنَى لِلْقَسَمِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاهُنَا ، وَقِيلَ إِنَّهُ مَجْرُورٌ عَلَى الْجِوَارِ " .

انتهى من " فتح القدير " (2/ 381) .

وقال الشيخ عبد القادر العاني رحمه الله:

" (رسوله) مرفوع، وقرأه بعضهم منصوبا ، عطفا على لفظة الجلالة ، أي أن الله برىء ، وأن رسوله بريء منهم.

ولا تجوز قراءة الجر على زعم الجر بالتوهم أو بالمجاورة أو بالتبعية " .

انتهى من " بيان المعاني " (6/ 405) .

وقول القائل : " أن الإعراب لا فائدة منه " نظرا لتعدد القراءات في الآية الواحدة ، فيقال من جوابه : "بل تعدد القراءات أدل على أهمية الإعراب ، وأدعى للعناية بالعربية وعلومها ! فإنه إذا كانت هذه القراءة صحيحة ، فالإعراب وعلوم العربية هي التي تبين المعنى الصحيح لذلك، وتنفي الباطل ، وترفع الإشكال . وإن كانت باطلة ، فلا وجه للاحتجاج بها ، ثم إن بطلانها من حيث المعنى ، يتوقف على معرفة العربية والإعراب أيضا .

قال ياقوت الرومي رحمه الله : " وبعد فهذه أخبار قوم أخذ عنهم علم القرآن المجيد، والحديث المفيد وهم أنهجوا طريق العربية ، وأناروا سرجه المضيّة وبصناعتهم تنال الإمارة ، وببضاعتهم يستقيم أمر السلطان والوزارة، وبعلمهم يتمّ الإسلام ، وباستنباطهم يعرف الحلال من الحرام. ألا ترى أنّ القارىء إذا قرأ (أن الله بريء من المشركين ورسوله) ـ بالرفع ـ فقد سلك طريقا من الصواب واضحا، وركب منهجا من الفضل لائحا، فإن كسر اللام من رسوله كان كفرا بحتا وجهلا قحّا ؟" انتهى ، من "معجم الأدباء" (1/10) .

وقد قيل : إن هذه القراءة ، كانت السبب في وضع علم النحو . " قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَخَذَ أَبُو الأَسْوَدِ عَنْ عَلِيٍّ العَرَبِيَّةَ، فَسَمِعَ قَارِئاً يَقْرَأُ: (أَنَّ اللهَ بَرِيْءٌ مِنَ المُشْرِكِيْنَ وَرَسُوْلِهِ) ـ بِكَسْرِ اللاَّمِ بَدَلاً عَنْ ضَمِّهَا –التَّوْبَةُ/ 3 ، فَقَالَ: " مَا ظَنَنْتُ أَنَّ أَمْرَ النَّاسِ قَدْ صَارَ إِلَى هَذَا " ـ انتهى من "النبلاء" (4/83) ، وانظر : "معجم الأدباء" (4/1466) .

وينظر قصة قريبة منها ، لعمر بن الخطاب ، مع أعرابي قرأ الآية بالجر في "نزهة الألباء"، لابن الأنباري (1/19–20) .

والله تعالى أعلم .